

قال يسوع في موعظته على الجبل: "فإن قَدَّمتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهناك تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قَدَامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالِ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (متى ٥: ٢٣-٢٤)

موضوع الغلاف

الصَّلَاةُ

والضَّمِيرُ

■ القسيس د. إدكار طرابلسي

وفي السَّيَاقِ نَفْسِهِ، يُتَابِعُ الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ تَعْلِيمَهُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَلَتْ، وَالَّتِي يُشَدُّ فِيهَا عَلَى حَسَنِ التَّعَامُلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَاصَّةٍ وَالنَّاسِ بَعَامَّةٍ، وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ عَلَى الْوَصِيَّةِ السَّادِسَةِ "لَا تَقْتُلْ"، وَيُرِيطُهَا بِمَوْضُوعِ الْغَضَبِ وَالكَرَاهِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَعْتَبِرُهَا سَيِّئًا، وَإِنْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْغَضَبَ وَالْبَغْضَ هُمَا خَطِيئَةٌ أَقَلُّ أَهْمِيَّةٍ مِنْ خَطِيئَةِ الْقَتْلِ.

ثُمَّ يَرِيبُ يَسُوعَ بَيْنَ الْبِرِّ وَالْعَلَاقَاتِ الطَّيِّبَةِ وَالْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ وَالتَّعَبُّدِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْمَوْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ. إِذَا، حَالَةَ الْمُؤْمِنِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ مُرْتَبِطَةٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِعِبَادَتِهِ. فَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِصَامٍ وَقِتَالٍ مَعَ أَخِيهِ وَيَأْتِي إِلَى الْعِبَادَةِ وَكَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ. كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى رَئِيسِ الْحَيَاةِ رَافِعًا طَلِبَاتِهِ وَهُوَ قَاتِلٌ نَفْسٍ. إِنْ خَطَايَا اللِّسَانِ هِيَ بِأَهْمِيَّةٍ خَطَايَا الْقَتْلِ

فِي الْمَوْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ، يُعَلِّمُ الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتْ لِيَنْقُضِ النَّامُوسَ، بَلْ لِيُكَمِّلَهُ. فَلِلنَّامُوسِ، كَمَقْيَاسِ إِلَهِيٍّ، أَهْمِيَّةٌ بَالِغَةٌ فِي تَشْخِيسِ أَمْرَاضِ النَّاسِ الرُّوحِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَالنَّاسُ مُطَالِبُونَ بِحِفْظِ وَصَايَاهُ فِي كُلِّ حِينٍ، "لَا تَظَنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (متى ٥: ١٧-١٩). لَقَدْ كَانَ هَدَفُ التَّذَكِيرِ بِأَهْمِيَّةِ النَّامُوسِ هُوَ تَنْمِيَّةُ حَالَةِ الْبِرِّ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ (متى ٥: ٢٠).

نعمة الحياة، لكي لا تُعاق صلواتكم" (١ بطرس ٣: ٧).

استحالة خداع الله في العبادة

إن قلب الإنسان مجبول بالخداع؛ فهو يخدع نفسه، ويخدع الآخرين، وحتى الله. والعبادة لا تخلو من هذا الخداع. لكن الله لا يُخدع إطلاقاً، لذا، من الأفضل ألا نحاول خداعه، فهو يفحص أعماق القلب، ويسرّ بالحق في الباطن (مزمور ٥١: ٦).

لقد كان الفريسيون يوازنون بين خطاياهم وممارساتهم الدينية، فلا يصححون الأخطاء ويستمرّون



في العبادة والفرائض كأن شيئاً لم يكن. لكن الله يعلم داخل الإنسان ولا يمكن إخفاء أمر عنه، وبالتالي، لا يستطيع أحد أن يُبرر نفسه أمام الله والناس بممارساته الدينية، "ولكن الله يعرف قلوبكم. إن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله" (لوقا ١٦: ١٥). لذلك، لا يمكن خداعه. وللضمير دور فعال في العبادة لكي يُوقف عملية التزوير والخداع الدينية، كي يستمع الله للعباد. فالمهم هو إرضاء الله وليس عبادته بأية طريقة أو كيف ما كان. يقول الربّ على فم النبي إشعيا: "لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الربّ. اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمّات، وبدم عجول وخرقان وتيوس ما أسر... لا تعودوا تاتون بتقديم باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والإعتكاف. رؤوس شهوركُم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليّ

وخطورتها. لذلك، لا بدّ للمؤمن من أن يسوّي القضية مع أخيه قبل أن يأتي إلى الله بالصلاة، أو قبل أن يقدم عطاياها.

ارتباط العبادة بالعلاقات الجيدة بالآخرين

يطلب الربّ إلى المؤمن أن يوقف صلواته حتى يذهب إلى أخيه ويتصالح معه. لكن، قد يعترض أحدهم قائلاً: "هل يقول الربّ إن الموضوع الأهم في العبادة هو أن نكون على علاقة جيدة بإخوتنا؟ لا أظن ذلك، فالأهم في العبادة هو موضوع علاقتنا بالله. غير أننا نقف دائماً

أمام الله كأفراد مرتبطين بإخوتنا البشر بعلاقات سليمة أو سيئة. ووقوفنا أمام الله يتضمّن حالتنا القلبية والواقعية مع الآخرين. فإن كنا في عداوة مع الآخرين، فكيف نتمكن من أن نتقدم من الله بقلب نقي ويدين طاهرتين. على كل مؤمن أن يحفظ ما جاء في المزمور ١٥: "يا ربّ، من ينزل في مسكنك؟ من يسكن في جبل قدسك؟ السالك بالكمال، والعامل بالحق، والمتكلم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلسانه، ولا يصنع شراً بصاحبه، ولا يحمل تعبيراً على قريبه. والرذيل محتقر في عينيه، ويكرم خائف الربّ. يحلف للضرر

ولا يغير. فضته لا يعطيها بالربا، ولا يأخذ الرشوة على البريء. الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر."

لا يجوز أن نصلي إلى الله وقلوبنا مليئة بالغضب، فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان، رافعين أيادي طاهرة، بدون غضب ولا جدال" (١ تيموثاوس ٢: ٨). إن "الغضب" و"الجدال" يقتلان الصلاة، وأيضاً العلاقات الإنسانية والبيئية والأخوية والكنسية، وبالتالي يقتلان الحياة الروحية.

في كلمة الله تحذير يتمحور حول علاقة صلواتنا بحياتنا المنزلية والزوجية. فالرسول بطرس يقول إن من تعاني حياته الزوجية المشاكل ستتأثر صلواته بالوضع، ولن تلقى أذناً صاغية في السماء. "كذلك أيها الرجال، كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف، مُعطين إياهن كرامة، كالوارثات أيضاً معكم

حقائق مسيحية

ثِقَلًا. مَلِكْتِ حَمَلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرْ عَيْنِيْ
عِنكُمْ، وَإِنْ كَثُرْتُمْ الصَّلَاةَ لَا أَسْمَعُ. أَيْدِيَكُمْ مَلَأْنَهُ دَمًا.
إِغْتَسِلُوا. تَنْقُوا. إِعْزِلُوا شَرَّ أَعْمَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنِيْ. كَفُّوا
عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ"
(إشعياء ١: ١١-١٧).

إِنَّ الْأَمْرَ يَتَطَلَّبُ مَعَالِجَةً، إِذْ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَلَّا يَزْدَرِي
بِمَنْ أَغْضَبَهُ أَوْ أَذَاهُ. وَعَلَى ضَمِيرِهِ أَلَّا يَسْمَحَ لَهُ بِأَنْ يَتَابَعَ
عِبَادَتِهِ وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِّ فِي الصَّلَاةِ. فَالرَّبُّ يُحَامِي
عَنِ الْمُتَأَلَّمِ وَالْمُظْلُومِ وَلَا يَتَعَاطَفُ مَعَ الظَّالِمِ وَغَيْرِ الْآبَةِ
بِأَلْمِ غَيْرِهِ. هَذِهِ خَطِيئَةٌ تَجْعَلُ الرَّبَّ لَا يَسْمَعُ لِمَنْ تَحْمِلُ
رُوحَهُ الظُّلْمِ وَالغَشَّ وَالْأَذْيَةَ. يَقُولُ الْمَرْنَمُ: "إِنَّ رَاعِيَتِ إِثْمًا
فِي قَلْبِي لَا يَسْتَمِعُ لِي الرَّبُّ" (مزمو ٦٦: ١٨).

اللَّهُ إِلَهُ الْمَصَالِحَةِ، وَقَدْ صَالَحْنَا بِمَوْتِ ابْنِهِ فِي
الصَّلَيبِ (رُومِيَّة ٥: ١٠؛ ٢ كُورِنْثُوس ٥: ٢٠؛
أَفْسَس ٢: ١٦؛ كُولُوسِّي ١: ٢١). فَعَلَيْنَا، عِنْدَمَا نَتَقَدَّمُ
أَمَامَهُ، أَنْ نُصَالِحَ إِخْوَتَنَا كَمَا يَجِبُ، لِيَقْبَلَنَا. فِي صَلْبِ
الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ، يُعَلِّمُنَا يَسُوعُ أَنْ نَطْلُبَ: "وَإِغْفِرْ لَنَا
خَطَايَانَا كَمَا نَحْنُ نَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا" (مَتَّى ٦: ١٢).
فَكَمَا يَرْتَبِطُ الضَّمِيرُ بِالصَّلَاةِ، يَرْتَبِطُ بِالمَصَالِحَةِ، "وَمَتَى
وَقَفْتُمْ تَصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ
يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَاتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ
تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرُ أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضًا
زَلَاتِكُمْ" (مَرْقَس ١١: ٢٥-٢٦).

هَلْ يَسِّرُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ "كَيْفَ مَا كَانَ؟" هَلْ هُوَ
مُجَرَّدُ إِلَهٍ يَطْلُبُ عِبَادَةَ النَّاسِ وَتَتَمِيمَهُمُ الْفَرَائِضَ، أَوْ هُوَ
يُرِيدُ أَنْ يَرْتَبِطَ مَعَهُمْ بِعِلَاقَةٍ طَيِّبَةٍ وَشَخْصِيَّةٍ وَسَلِيمَةٍ؟
يَسْأَلُ صَمُوئِيلُ النَّبِيَّ: "هَلْ مَسَّرَ الرَّبُّ بِالْمَحْرَقَاتِ
وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الْاسْتِمَاعُ
أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالْإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنَ شَحْمِ الْكِبَاشِ"
(١ صَمُوئِيل ١٥: ٢٢).

إِنْ جِزَاءً أَسَاسِيًّا مِنْ بِنَاءِ عِلَاقَةٍ سَلِيمَةٍ بِاللَّهِ يَتَمَّ عِبْر
طَاعَةِ وَصَالِحِهِ. لِذَلِكَ، لَا يَجُوزُ قَتْلُ أَحَدٍ أَوْ اغْتِيَالُ كِرَامَتِهِ
وَسَمْعَتِهِ وَحَيَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَالْمَهْنِيَّةِ. وَبِمَا أَنَّ النَّاسَ
يَغْرَقُونَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَاكِلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَدْ يَهِينُونَ
بَعْضُهُمُ الْآخَرَ وَيَقْتُلُونَ أَحَدَهُمُ الْآخَرَ قَتْلًا دُمُومًا وَغَيْرِ
دُمُومِيٍّ، فَالرَّبُّ يُشَجِّعُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُهُمْ
حَسَّاسًا وَعَلَى أَنْ يَتَجَاوَبُوا مَعَ صَوْتِ الضَّمِيرِ، وَيَقُومُوا
وَيُصَلِّحُوا الْأَمْرَ سَرِيعًا قَبْلَ مُتَابَعَةِ عِبَادَتِهِمْ، مِنْ أَجْلِ
إِرْضَاءِ اللَّهِ وَقَبُولِ صَلَوَاتِهِمْ.



دور الضمير في تصحيح حياتنا

عَلَى الضَّمِيرِ تَأْنِينًا إِنْ أَخْطَأْنَا تَجَاهَ الْآخَرِينَ. يَسْأَلُ
الرَّسُولُ يُوْحَنَّا مَاذَا "لَوْ لَمْ تَلْمُنَا قُلُوبِنَا" عَلَى أَيِّ خَطَا؟
(١ يُوْحَنَّا ٣: ٢١). طَبَعًا هَذِهِ مَشْكَلَةٌ، إِذْ بَعْضُهُمْ يُسْكِتُ
صَوْتَ الضَّمِيرِ وَيَسْعَى لِلْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ آيَةِ مَصَالِحَةٍ مَعَ
مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ. لَكِنْ يُوْحَنَّا يَتَابَعُ فَيُذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلًا:
"فَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ" (١ يُوْحَنَّا ٣: ٢٠).
إِذَا، لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْبُدَ تَارِكِينَ الْأُمُورِ مِنْ دُونِ مَعَالِجَةٍ أَوْ
تَصْحِيحٍ، فَاللَّهُ يَرَى هَذِهِ الْأُمُورَ وَيَعْرِفُهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا.
أَمَّا الْمُؤْمِنُ، صَاحِبُ الضَّمِيرِ الْحَسَّاسِ، فَيَلُومُهُ قَلْبُهُ فِي
كُلِّ الْحَالَتَيْنِ: عِنْدَمَا يُخْطِئُ إِلَى غَيْرِهِ وَعِنْدَمَا يَتْرَكُهُ
حَزِينًا إِذْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ. وَهَذَا مَا يَطْلُبُهُ الرَّبُّ إِلَى
العَابِدِ: وَهُوَ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الصَّلَاةِ، إِذَا تَذَكَّرَ أَنَّ لِأَخِيهِ
شَيْئًا عَلَيْهِ، وَيَذْهَبُ وَيَتَصَالِحُ مَعَهُ، وَمَنْ ثَمَّ يَعُودُ لِيَرْفَعُ
صَلَاتَهُ أَمَامَ اللَّهِ (مَتَّى ٥: ٢٣). عَرَفَ بُولَسُ الرَّسُولُ
أَهْمِيَّةَ الضَّمِيرِ الصَّالِحِ فِي حَيَاتِهِ فَسَعَى لِتَدْرِيْبِهِ لِيَكُونَ
"بَلَا عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللَّهِ وَالنَّاسِ" (أَعْمَال ١٦: ٢٤).
عَلَيْنَا أَنْ نَذَكَّرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُنَا الْهَرَبُ مِنَ الْخَطِيئَةِ، فَهِيَ
تَحْضُرُ أَمَامَنَا فِي كُلِّ حِينٍ (مَزْمُور ٥١: ٣). وَاللَّهُ حَاضِرٌ